

مدينة بلزمة: دراسة في دور الحاضرة في العصر الوسيط Belezma, A study on the role of the city in the The Middle Age

د/ طويل الطاهر

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – جامعة باتنة 1

مخبر الجزائر دراسات في الثقافة والتاريخ والمجتمع

tahar.touil2@yahoo.fr

تاريخ القبول: 2021/04/26

تاريخ الإرسال: 2021/01/09

الملخص:

إن جغرافية العالم الإسلامي كما تتجلى لدى الجغرافيين وكتب الرحالة يمكن استنباطها والوقوف على تفاصيلها من خلال جغرافية المدن لأن ما يتوفر فيها من مادة ومعطيات ميدانية موثقة يقرب المواقع من القارئ ويمكنه من تمثيلها والوقوف على خصائصها. وجغرافية المدن تعتبر بابا أساسيا في الجغرافية الوصفية العربية لأنها تمكن الجغرافية من عرض الأقاليم والتعريف بها من خلال مدنها وحواضرها. لذلك فإن التعريف بالكل يتم عبر الأقاليم والمجالات المتفرقة في إطار نظام عالم الخلافة الإسلامية. مدينة بلزمة تعتبر أحد الحواضر الطرفية التي استوطنتها قبيلة بني تميم ومن بعدهم قبيلة مزادة عهد الدولة الأغلبية، وكان لسقوطها سببا مباشرا لانهايار الدولة الأغلبية وقيام الخلافة الفاطمية. فهذه المنطقة لا زالت تحتفظ بأهميتها طيلة العصر الوسيط رغم إجماع المصادر التاريخية عنها، والتي تحتاج إلى المزيد من البحث والدراسة. **الكلمات المفتاحية:** جغرافية المدن؛ العمران؛ بلزمة؛ المغرب الأوسط.

Abstract:

Town's geography is a main entry to the Arab descriptive geography because it enables geography to show areas and make them known through their towns. Knowing the who legoes first thourght its different parts, the nits related part. The Islamic word geography, which is obvious with the routs geographers, maybe deduced and its defails maybe know through towns geography because of its maerial and documented field facts that get the reader closer to the sites, imagine them and know about their characteristics.

Key words :Geography of cities; Urbanization; Belezma; Middle Age.

مقدمة:

على الرغم من الاهتمام الكبير الذي حظيت به المدن والحواضر ببلاد المغرب في العصر الوسيط من طرف الجغرافيين والرحالة وتوفر كم هائل من النصوص التاريخية المتعلقة بروايات تأسيس المدن بعد الفتوحات الإسلامية¹، تبقى بعض الحواضر الهامشية والطرفية البعيدة عن المركز أقل حضورا في هذه المتون التراثية.

فقد أولى الجغرافيون المدن أهمية كبرى لأنها تستقطب كل الأنشطة الحيوية وتساهم في تقدير أهمية البلدان وتعميرها. ولم ينظر الجغرافيون إلى المدن في ذاتها بل بصفقتها مراكز عمرانية تحيط بها عديد القرى والبوادي، فالمدن عند المقدسي كالجند والقرى كالرجالة وهي تستقطب السكان لكثرة خيراتها وتوفر

أسباب العیش فیها². وقد كان الجغرافيون على وعي تام بأن المدن ليست بنفس الدرجة من الأهمية سواء من حیث الموقع والمساحة، أو من ناحية القيمة العمرانية والسیاسية والاقتصادية والتاریخية والثقافية والدينية فميزوا بین مختلف المدن³. غیر أن الإشكالية التي نجدها في التأريخ لبعض المدن والحوضر هي مسألة تحديد البدايات الأولى لنشأتها، یضاف إلى ذلك قلة المصادر خاصة التاریخية والجغرافية والأدبية، التي تؤرخ لها أو انعدامها في الكثير من الحالات.

أما **منهجيا** فقد اعتادت الدراسات التاریخية التعامل مع هذا الموضوع برؤية وبمنهج تجزيئي، وإغفال عنصر الاستمرارية أو المسار التاریخي والحضاري، وهكذا تناولت الدراسات تاریخ المدينة وأصلها على شكل نماذج، فهي تناولت مدينة قرطاج كنموذج للمدينة الفينيقية البونيقية، وتناولت مدينة ويلي بالمغرب، وتیمقاد بالجزائر كنموذج للمدينة الرومانية، وتناولت مدينة القيروان وفاس وغيرها كنموذج للمدينة الإسلامية. لكن یبقى السؤال المطروح وهو: هل یعنی ذلك أن المدينة والمدينة تشمل عنصر القطیعة إلى هذا الحد؟ أليس هناك میراث حضاري مديني مستمر على مستوى المعمار وتخطيط المدينة وتطورها⁴.

لقد اعتقد سابقا أن ظاهرة التمدن بشمال إفريقيا قد نشأت كثمرة لسیاسة روما التمدينية، وأن مدنها قد ازدهرت ازدهار الحضارة الرومانية بالمنطقة⁵، غیر أنه إذا ما استثنينا بعض المراكز الحضرية التي نشأت في البداية كمعسكرات رومانية أو بهدف دفاعي كتمیقاد مثلا، فإنه على عكس الفرضيات السابقة، لم تقم روما بتشييد المدن وتأسيسها شمال إفريقيا، بل أن المدن الإفريقية وبحكم الاستيطان الروماني بها تبنت طابع العمارة والفن المعماري الروماني⁶.

بلزمة من المدن الرومانية القديمة التي استمر دورها في العصور التالية للمرحلة الرومانية، فمن الواضح أنه لم يتم تدمير معظم المدن البيزنطية أو التخلي عنها في أعقاب الفتوحات الإسلامية. وبدلا من ذلك، أصبحت العديد من هذه المدن مراكز هامة في القرون الوسطى، ولفترة طويلة من الزمن ظلت تلعب أدوارا مختلفة على مختلف الأصعدة⁷. ولعل مدينة بلزمة أحد هذه الحواضر التي وإن أحجمت المصادر التاریخية عن ذكرها، إلا أنه لا ينكر دورها خاصة في أحداث القرن 03هـ/ 09م في منطقة إفريقية والمغرب الأوسط.

أما بالنسبة لموقع المدينة فإنه یدرج ضمن سلسلة الحصون الممتدة على الحواف الغربية لجبل الأوراس على الطريق الرومانية للمحور الذي يمر على مدينة بلزمة، ويربط بین قرطاج، تبسة، ماسكولة، لمباز، بلزمة، زراي⁸، وهي في مجملها حصون استخدمت كوسيلة للسيطرة والتحكم والتوسع غربا وجنوبا للإحاطة بكتلة جبل الأوراس، فقد مدت طريق قرطاج تيلبت (thélepte قرب فريانة بتونس)، نحو تبسة، وتم ربط هذه الأخيرة بالمدينة الساحلية هييون (عنابة) عبر المادور (مداوروش) وتاقست (سوق اهراس). ومن تبسة أيضا ستمد الطريق غربا عبر خط يمر ببوكس (aquae caesaris) وعین زوي (vazaivi) وماسكولة (خنشلة)، إلى تازولت ومنه إلى مروانة (lamasba) وزراي (zarai)، ومنها إلى مركز الليمس الموريطاني.

مدينة بلزمة⁹:

1- إرث الزراعة ونظم الري بشمال إفريقيا: تاریخيا لا نعرف تاریخا محددا لتأسيس مدينة بلزمة. فالقيام بمهمة تحديد البدايات الأولى لنشأة المدينة بشمال إفريقيا أمر صعب للغاية خاصة إذا ما تناولناها من وجهة نظر النصوص التاریخية الأدبية. ومن المعروف أن هاته الصعوبة لا تقتصر فقط على المدن السحيقة في القدم التي تعود نشأتها إلى قرون عديدة قبل الميلاد، ولكن الصعوبة تشمل أيضا بعض المدن الإسلامية

التأسيس والنشأة مثلما هو الشأن بالنسبة لفاس بالمغرب الأقصى، وأيضا بالنسبة للمدن القديمة التي استمرت كحواضر مهمة بعد الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا، وهي كثيرة¹⁰. أما بالنسبة لمدينة بلزمة فتتجمع المصادر التاريخية والنصوص الجغرافية أنها كانت ذات أهمية كبيرة في العهد الروماني أو مركزا تجاريا حيث تنتج المنطقة موادا مختلفة وغنية بسهل بلزمة ومنطقة الحضنة، ومنها تخرج الطرق إلى معظم المدن القريبة منها مثل سطيف، وزراية، وعين قيقبة. ولها طريق أخرى نحو قسنطينة عبر زانة (ديانة) وجنوبا إلى طبنة ونقاوس¹¹. وقد أهلها موقعها الجغرافي والسهل الذي كانت تتمتع به لتحظى بتلك الأهمية.

فقد كانت منطقة بلزمة موضوع الكثير من الأبحاث الأثرية؛ ففي أوائل 1877 سافر ماسكراي (masqueray) إلى سهل بلزمة، شمال غرب باتنة، واكتشف على أنقاض المدينة الرومانية القديمة لماسبا (lamasba مروانة حاليا) ما تبقى من نقش طويل يتعلق بتسوية الري بالمنطقة (عثر على قطعتين حجريتين من النقيشة)، ثم وجدت ديساو (dessau) قرب نفس المكان آثار ديباجة يربط بين القطعتين الأثريتين¹².

اكتشف ماسكراي عام 1877 للوحتين الحجريتين بمروانة أدرجت في مجال دقيق يخص نظام الري، وهي الوحيدة في شمال إفريقيا التي تتضمن تفاصيل وافية للطريقة الهيكلية والوظيفية لأهم أنماط الإنتاج في المجال الزراعي المتعلقة بأنظمة الري التي كانت منتشرة في المغرب القديم¹³، وكانت تتضمن النقيشة الطريقة التي توزع بها المياه بسهل بلزمة، مع جدول النطاق لكل مستفيد، ونصابه من المياه ووقت السقي حسب التاريخ والوقت من اليوم أو الليل، والمدة الزمانية من ساعة البداية إلى النهاية¹⁴.

أما عن كيفية التوزيع فتتم انطلاقا من وادي مروانة، فبعد امتلاء قناة الري توزع حسب القائمة الاسمية للمستفيدين من نظام السقي والتي تكون موزعة حسب حجم العقارات التي يمتلكها المزارعون وتكون مقسمة بجوار بعضها البعض في شكل حدائق ومجموعات منفصلة تربط بينها قنوات المياه. وتكون هذه القنوات موزعة حسب طبوغرافية المنطقة المنخفضة والمرتفعة¹⁵.

وتكشف لنا نقيشة مروانة مراسيم مكتوبة لتنظيم عام لمشاريع الري المكتوبة وبالتفصيل، وهي وسيلة لتنظيم توزيع مياه الري في الأراضي المجاورة لمدينة لماسبا، ولا يستبعد أن تكون هذه النقيشة نتيجة لضبط أعراف قديمة كانت تحكم توزيع المياه بالمنطقة، ثم نظمت بطريقة قانونية، وأسفرت عن تكوين نقيشة الري المكتوبة التي عثر عليها... كما تبين النقيشة جانبا آخر من خطورة الصراع على الماء، وذلك باللجوء إلى لجنة خاصة بالتحكيم لوضع مقياس واحد وموحد لجميع المستفيدين، ذلك أن معظم التنظيمات الأخرى كانت منتشرة وسائدة دون تسجيل الترتيبات التفصيلية لتوزيع المياه على العامة. لذلك تبقى فرضية أن تكون هذه الوثيقة عبارة عن تسجيل لتنظيم نمط إنتاج قديم كان موجودا فعلا¹⁶.

2- بلزمة واستقرار بنو تميم بعد الفتح الإسلامي: استمرت بلزمة في العهد الإسلامي محافظة على دورها الدفاعي أيضا، كحصن يقع على الطريق الرابط ما بين القيروان إلى الزاب مرورا على محور باغاية- طبنة. لمراقبة القبائل البربرية لمنطقة غرب الأوراس، ورغم أهميته فإن المصادر التاريخية لا تشير إليه في أثناء حملات القادة الفاتحين لبلاد المغرب. إذ من المرجح أنه استخدم كملجأ للروم الفارين من حملاتهم الناجحة بالمنطقة (خاصة حملات عقبة بن نافع الذي عرف عنه الاستخدام المفرط في القوة العسكرية في توسعاته). ولا يرد ذكر للمدينة إلى غاية ظهور الدولة الأغلبية، التي كان يشغلها تأمين حدودها الغربية. إذ ستكون هذه المدينة أحد أهم نقاط الدفاع عن الحدود الغربية للدولة الأغلبية.

ومثل باقي مدن وحواضر المناطق الطرفية الهامشية، تتعدم النصوص المكتوبة الخاصة بأوضاع المدينة باستثناء ما ذكر حول الحامية التي تسكنها؛ فقد سكنها الجند المسلمون من قبيلة بني تميم، ومواليهم،

والذين ذكرهم اليعقوبي الذي أغفل وصف المدينة لكنه أشار إلى سكانها عند ذكره لمدن الزاب "ومدينة يقال لها بلزمة أهلها قوم من بني تميم"¹⁷، وموالي لبني تميم وقد خالفوا على ابن الأغلب في هذا الوقت¹⁸. أما البكري فقد أشار إلى أن المدينة هذه عبارة عن حصن ويحيط به مجموعة من القرى "بلزمة لمزاةة"¹⁹، حصن أولي وهو في بساط من الأرض، كثير المزارع والقرى، وفي قرأه حصون كثيرة²⁰. تبعد المدينة عن بجاية بمرحلتان²¹ وبعض. وعن قسنطينة تبعد مسافة يومان، ولها مجموعة طرق تربطها بمدن نقاوس في الاتجاه نحو مدينة طبنة، وعبر باغاي إلى القيروان، وعبر سطيف إلى مدينة بجاية²². فالحصون البيزنطية قد رمت واستخدمت من جديد، وواصلت القيام بدور الدفاع عن الإمارة الأغلبية²³. وبالنسبة لحصن بلزمة فقد وصفه الإدريسي أنه "حصن لطيف وفي أهله عزة ومنعة ولها ربض وسوق وبها آبار طيبة وماؤها أيضا غسق، وهو في وسط فحس أفيح وبنائه بالحجارة الكبار القديمة. ويذكر أهل تلك الناحية أنه من أيام السيد المسيح. والمدينة في ذاتها مردومة بالتراب والأحجار، فإذا نظر الناظر إلى السور من خارج رأى سورا كاملا وإذا دخل المدينة لم يجد لها سورا لأن أرض الحصن مساو للشرفات... وهذا غريب في البناء"²⁴. وهذا ما يعني أن بناء المدينة يعود للعهد السابق للفترة الرومانية حسب هذا الوصف.

فهذه المنطقة لا زالت تحتفظ بالآثار والنتائج التي ترتبت عن معارك حروب الفتح الإسلامي، وغربت من طبيعة المنطقة كليا؛ إذ توافدت مجموعة من القبائل التي أصبحت حاميات بتلك الحواضر، فاخترت نفزة الاستقرار بحصن بلزمة إضافة إلى حي بني مالك من بني تميم. فيما استقرت قبيلة ورفجومة بطبنة، لكنهم انتفضوا بعد موت عمر بن حفص على يزيد بن حاتم عند قدومه على إفريقية سنة 157هـ/ 773م "وسرح إليهم يزيد العساكر مع ابنه وقومه فاتخنوا فيهم، ثم انتفضت قبيلة نفزاة على أبيه ودعوا إلى دين الإباضية، ولولا عليهم صالح بن نصر منهم. فرجعت العساكر إليهم متراسلة وقتلهم ابرح قتل"²⁵. لم تصمد هذه الثورات طويلا وقمعت في الأخير عام 164هـ/ 741م. وتؤكد هذه الرواية على الخيط الرفيع الذي كان يفصل هذه القبائل التي كانت على مذهب الخوارج الصفرية، وتحولها إلى المذهب الإباضي رغم ما كان بينها من صراعات وانقسامات. كما أن طبيعة هذه الانتماءات هي التي ستنحكم في طبيعة العلاقة بين هذه المجالات مع القيروان.

3- دور المنطقة بعد القرن الثاني الهجري: بعد انتهاء عمليات الفتح الإسلامية واستقرار الحاميات العربية في الكثير من الحواضر وامتلاكها للأرض، سرعان ما تحولت هذه الحاميات إلى أقاليم حاكمة احتكرت السلطة والمُلك، ولم تجد القبائل البربرية أمام التحولات الجديدة في السلطة غير سبيل الاحتجاج والثورة على الأوضاع التي رسمها الأسباط الجدد.

وأمام تزايد نشاط حركات الدعوة المذهبية فقد ارتبطت الإباضية بالأوراس بالقبائل التي كانت تريد المشاركة في الملك ولو أن هذه القبائل الطرفية أو الحدودية قد تمتعت بنوع من الاستقلال الداخلي في مجالاتها المتعلقة بجغرافية الجبل. إلا أن مبادئ الإباضية المتوافقة مع الجماعة لا مع الأمة قد رأت فيها فرصة للمشاركة في الكثير من الأحداث السياسية والثورات. وكانت هذه الثورات قد تركت آثار سلبية على المجتمع وعلى الاقتصاد، فقد استنزفت جهود الولاة ومواردهم المالية بإنفاقهم الكثير على إعداد الجيوش ومضاعفة العطاء لمواجهة هذه الثورات²⁶، كما أسفرت هذه الاضطرابات نتائج سلبية على الحواضر والمدن أدت في بعض الأحيان إلى هدم العمائر والأسوار مما حتم الولاة عناء ترميمها أو إعادة بنائها.

وقد توسع المجال الإباضي في الأوراس، واستمر حتى زحفة بني هلال، وقد انتشرت فيه الصفرية أولاً ثم تحول أهلها إلى الإباضية في عهد عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم²⁷، مع الإشارة إلى وجود بطون من قبيلة نزاوة بمدينة بلزمة قبل هذا التاريخ. وكان شرق الأوراس الذي سيكون منطلق ثورة أبي يزيد مخلد كيداد، بعد أن لجأ إليه، سيشهد أيضاً وقعة باغاية سنة 358هـ/ 968م، وستكون أيضاً محطة لانتهاه "إمامة الدفاع" التي كانت لأبي خزر يعلى بن زلتان²⁸، والذي رافق المعز في رحلته إلى مصر حيث استقر هناك²⁹.

وفي هذا المجال يشير البكري إلى حصن باغاية الذي كانت تقطنها العديد من القبائل الإباضية "ويسكن في حصن هذه المدينة قبائل مزاة وضريسة، وكلهم إباضية، وهم يظعنون في زمن الشتاء..."³⁰. وقد ازدهرت هذه المذاهب التي كانت تتوسع بين القبائل البربرية بجوار الإمارة الأغلبية التي كانت تختلف مذهبياً وتسعى إلى تثبيت سلطتها على الكثير من المجالات بالأوراس التي جعلتها مجالا حدوديا بتحسين الكثير من حصونه ومدنه وكانت بلزمة أحد أهم هذه الحصون.

4- مجزرة بلزمة تعجل بسقوط دولة الأغلبية: سمح موقع مدينة بلزمة الذي كان يشرف على إقليم كتامة بجانب ميلة وسطيف جعلها مثل باقي الحصون القريبة منها محل مراقبة شديدة من طرف الأغلبية الذين يخشون من انفصالها، فقد كانت الحصون التي استغلها الأغلبية في منطقة الزاب قد أوكلت لها مهمة رقابة جبال أوراس، وهي الحصون التي حُرست وحاصرت منذ العصور القديمة المنافذ بنجاح متفاوت، أي بالخصوص، حصون باغاية وبلزمة وطبنة وتهودة، وهي التي كانت تشكل الحزام الواقى للولاية، ولم ترسخ في النهاية إلا لسيوف العلويين³¹.

وإذا كانت طبنة عاصمة الزاب قد تمتعت بعلاقة وطيدة بالقيروان، فإن بلزمة كان لها نوع من الاستقلال عن المركز، وهذا ما يمكن استنتاجه من خلال محاولة عبد الله الشيعي معرفة أوضاع المدن الحدودية لإقليم كتامة بعد سؤاله الكتاميين: "قال: فإلهما إفرقية بها عمال؟ قالوا: لا، فإنما بها رجال ملكوها ما له عندهم أكثر من الدعوة على المنابر، وهم له طاعة في معصية"³².

فهل كان الكتاميون يُرغبون عبد الله الشيعي ويشجعونه على الإجهاز على هذه المدن عندما كان بتازروت يعد جيشه للثورة على الأغلبية؟ أم أنهم يقرون بالواقع الذي كانت عليه هذه الأمصار؟ إذ أن العلاقة بين بلزمة وإقليم كتامة لم تكن على أحسن حال. بالإضافة إلى ما ميز علاقة بلزمة بالقيروان. والسبب يعود إلى سطوة جند بلزمة على المنطقة؛ فالمصادر التاريخية تشير إلى أن "أهل بلزمة كانوا قد أدلوا كتامة واتخذوهم خولا وعبيدا. وفرضوا عليهم العشور والصدقات وأن يحملوا ذلك على أعناقهم"³³. وقد يعني هذا أن الحماية التي تقطن بلزمة بدأت تُظهر نوع من الاستقلال عن العاصمة القيروان، أو أنها كانت تجبي تلك الأموال لبسط النفوذ الأغلب على قبيلة كتامة.

ومهما يكن فإن تطور الأحداث التاريخية ستجعل من تصرفات هذه الحماية نقمة عليهم، إذ أن قبيلة كتامة ستصبح بالتحالف مع عبد الله الشيعي صاحبة السيف في الدولة العبيدية، في حين أن الأغلبية سيقدمون على ارتكاب مجزرة في حق خيرة الجند البلزمي. وهو ما سيعجل بنهاية المدينة في نفس الوقت، وهذا بدوره يؤدي إلى سقوط الدولة الأغلبية.

كانت سياسة الدعوة الإسماعيلية أواخر حكم الأغلبية هي الرغبة في استغلال حالة التذمر التي كانت سائدة خاصة بين الحاميات الغربية، والتي كانت تريد التخلص من السيطرة والخضوع الضريبي لعمال الإمارة الأغلبية، وهذا ما جعل بعضها يتحالف مع حركة عبد الله الداعي، أو على الأقل تساهلوا في فترة

توسع جيوش الكتاميين، ونتيجة لذلك أصبحت الحدود الغربية للإمارة الأغلبية تتداعى شيئاً فشيئاً نتيجة السياسة التي طبقها الأمراء الأواخر ضد سكان منطقة الزاب بطبقة وبسكرة.

ففي عهد ولاية أبي الغرائيق (250 - 261 هـ / 864م - 874م) الذي "كانت في أيامه حروب وفتن"³⁴؛ لم تستثن هذه الفتن بلاد المغرب الأوسط فكانت قبائل بلزمة من الذين سيساعدون قائده أبا خفاجة على تهدئة الثورات والفتن بالزاب بعد "اضطراب ثغر الزاب عليه. فأخرج إليه أبا خفاجة محمد بن إسماعيل في عسكر عظيم، ففتح فتوحات عظيمة في طريقه، وخافه جميع البربر ولم يبق أحد له... ثم نهض إلى طبنة. وأتى حي بن مالك البلوي في خيل بلزمة فصار في عسكره"³⁵. وقد حاول الأمراء الأغلبية التخلص من التميميين ببلزمة بنقل الكثير منهم إلى صقلية في ظل حروب الأغلبية بالمنطقة، من أجل انشغالهم بالحرب والتقليل من شوكتهم، فقد كانت السلطة تخشى جانبهم.

بالإضافة على حالة عدم الاستقرار والاضطرابات، حدث في سنة (268 هـ / 881م) أن "اشتد القحط وغلّت الأسعار حتى بلغ قفيز³⁶ القمح ثمانية دنانير. والقفيز مقدار إردب³⁷ وربع بالمصري. فهلك الناس حتى أكل بعضهم بعضاً"³⁸. ثم قام إبراهيم أخ أبو الغرائيق و"فك بأهل الزاب، فقتلهم وقتل أطفالهم، وحملوا على العجل إلى الحفر، فألقوا فيها"³⁹.

وبعد عشر سنوات في عام (278 هـ / 891م)، يقوم إبراهيم بن أحمد أخو أبي الغرائيق بأكبر مجزرة في حق الجند الذي ببلزمة وكان ذلك أهم حدث يتسبب في إسقاط هذا الحصن الأغلبي، والذي سيكون له أثره في نجاح الدعوة الشيعية هناك. وسبب هذه المجزرة تتمثل في استجارة هارب من أهل باغاية ببني مالك ببلزمة كان إبراهيم بن أحمد قد سجنه ورفض عامل بلزمة تسليمه للأغلبية⁴⁰، وهو ما أثار حفيظتهم فجهز حملة على مدينة بلزمة، لكنه فشل في اقتحامها ما جعله يلجأ إلى المكر والإيقاع بنحو من ألف من خيرة جند⁴¹ الذين دعاهم إلى مدينة رقادة "فأنزلهم ووسع عليهم، وبني لهم دارا كبيرة تشتمل على دور ترجع إلى باب واحد وأسكنهم فيها. فلما سكنوا واطمأنوا، جمع ثقات رجاله لأخذ أرزاقهم، ثم أمرهم بمصاحبة ابنه عبد الله لما أمره به، فلما اجتمعوا إليه، ركب إلى دار البلزميين في الجند، فقتلهم عن آخرهم، بعد أن دافعوا عن أنفسهم إلى وقت العصر"⁴².

ويرى ابن عذارى أن هذه المجزرة كانت من "أسباب انقطاع دولة بني الأغلب، إذ كان أهل بلزمة في نحو ألف رجل من أبناء العرب والجند الداخلين إلى إفريقية عند افتتاحها وبعده، وكان أكثرهم من قيس، وكانوا يذلون كتامة. فلما قتلهم إبراهيم، استطالت كتامة، ووجدت السبيل للقيام مع الشيعي على بني الأغلب"⁴³.

لا شك أن هذه المجزرة التي تعرض لها خيرة جند بلزمة قد أربكت باقي الحاميات الأغلبية بمختلف مدن وحصون المغرب الأوسط التابعة للسلطة الأغلبية، بكل من ميلة ووسطيف وباغاية ونقاوس ومقرة⁴⁴، حيث كان لمجزرة بلزمة أثر مباشر على انهيار الجبهة الغربية للأغلبية وثورة الناس على إبراهيم الثاني. الذي ينتهي به الأمر للتنازل عن العرش لفائدة ابنه أبي العباس عبد الله الثاني 289 هـ / 902م، فقد أجبت تلك الواقعة حقد السكان على بني الأغلب وأُنذرت بقرب انقراض دولتهم، والواقع أن مقتل "جند" حصن بلزمة الذي كان أصحابه العرب يسيطرون على كتامة من البربر، وكان يشرف على بلادهم، قد فتح في الناحية الغربية من إفريقية ثغرة واسعة في الجهاز الدفاعي الأغلبي.

وإثر هذه المفاجعة وجدت الدولة الأغلبية نفسها-كما كان الشأن في عهد زيادة الله الأول أثناء ثورة منصور الطنبذي- على قاب قوسين أو أدنى من سقوطها. ولكن هذه المرة لم تتحرك العناصر المتمردة من

الجند، بل أن سكان المدن والأرياف هم الذين شقوا عصا الطاعة في وجه السلطة. فقد ثارت أولا تونس والجزيرة ثم الأربس وباجة وقمودة، وما لبثت أن اشتعلت نيران الثورة في كامل البلاد، ما عدا منطقة الساحل والشريط الساحلي الشرقي حتى طرابلس. فانزوى إبراهيم الثاني أول الأمر داخل الخنادق التي حفرها حول رقادة، ثم تمكنت جيوشه المعززة بالخصوص بالعناصر المخلصة من حرسه الأسود من تدارك الوضع تدريجيا فاستقر الأمير في تونس التي افتتحها من جديد بحد السيف⁴⁵. وقد تفاقم نفور الناس من إبراهيم الثاني، مما دفع الخليفة العباسي، المعتضد الذي بلغته شكوى من أهل تونس، إلى مطالبة تابعه بتحسين سلوكه مع البشر⁴⁶. وتعتبر هذه الأحداث من سمة الدول في مراحل هرمها قبل وصولها إلى مرحلة السقوط، حسب التحليل الخلدوني للملك.

وكانت لهذه الأحداث أثر كبير وسلب في التطور الديموغرافي للحواضر والمدن، إلا أن غياب التاريخ الإحصائي يجعل من تتبع هذه التطورات متعذرا، كما يصعب تقدير عدد سكان هذه الحواضر تقديرا حسنا. فما نملكه من نصوص وروايات حول ديموغرافية مدينة بلزمة لا يتجاوز الرقم الهام من أبطال فرسانها الذين قضى عليهم برقادة، كما نجهل توطن هؤلاء الجند هل هو في المدينة نفسها، أم كانت للمدينة حصون وقلاع تحرسها. فلا شك وأن المدينة قد نظمت وفق ما تقتضيه حاجة هؤلاء وأسره، فالمدينة قديمة، وتخطيطها روماني، وكانت تتمتع بسهولة واسع يحتوي على خيرات كثيرة، وهو ما يرجح وجود شرائح اجتماعية أخرى بجانب هؤلاء الجند بالمدينة، مثل التجار والمشتغلين بالفلاحة والحرفيين في مختلف أنواع الصنائع وغيرهم. ففي أثناء الحصار الفاطمي للمدينة كان بالمدينة "رجل من أهل مجانة يعرف بأبي عبد الله له لسان، وكان يحملهم على العناد والإصرار ويصنع لهم المجانيق والعرادات وآلات الحروب"⁴⁷. وهو ما يدل على وجود صناعات وحرفيين بالمدينة، غير أن عدم عثورنا على النصوص المكتوبة وانعدام الشواهد الأثرية يجعل دراستنا لمثل هذه المدن غير مكتملة.

بعد سيطرة الفاطميين على المنطقة وسقوط أهم الحصون القوية، لم تتمكن السلطة الجديدة من فرض الأمن وضمان التبعية وولاء قبائل البربر المنهزمة، فقد كانت مجالات الزاب والحصنة في البداية تحت سيطرة القبائل البربرية الإباضية (خاصة قبيلة ورفجومة وهوارة بفروعها)، التي أسست ممالك مستقلة، وتحكمت في محور الطريق شرق-غرب، الذي يمر بمحاذاة المنحدر الجنوبي للتل، وعلى الخصوص منافذ الطرق الصحراوية. وسمح الفتح الفاطمي وسيطرتها على المنطقة (بعد فشل ثورات الخوارج) لجوء هؤلاء الإباضية إلى الجنوب ومناطق الواحات وقاموا بتنشيط التجارة الصحراوية. غير أن إخضاع المناطق الجنوبية في القرن 4هـ/10م، لا يشير إلى عودة الطاعة الكاملة للحكم المركزي بهذا الحد. وبداية من ظهور سلطة بجاية الحمادية، ندرك أن التحكم بهذا القفل كان هدفا للتنافس والصراع المستمرين. ففيما مضى وجب على الناصر الحمادي الكفاح ضد زناتة التي عارضت حكمه في الجنوب، ووصول القبائل العربية عقد نوعا ما الرهان. وظهرت الأهمية الاستراتيجية لهذه الجهة بطريقة جلية في أثناء فترة مغامرة بني غانية الذين استولوا على الجهة وجعلوها واحدة من أهم قواعدهم الخلفية. وكانت السلطة فيما بعد تولي في كل مرة أهمية كبيرة للتحكم بهذه المنطقة الجنوبية⁴⁸.

5- حصار المدينة وحرقتها من طرف الإسماعيلية عام (287هـ/900م): استمرت الغارات الشيعية على بلزمة ثلاث سنوات من أجل نهب محصولاتها الزراعية وإتلاف خيراتها. وشجعت انتصارات عبد الله الشيعي الأخيرة على طينة للقيام بهجوم على الحصن. وقد أبدى سكان بلزمة من العرب التميميين مقاومة مستميتة، ولقي رئيسهم حي بن تميم مصرعه أثناء الحصار. ومع ذلك فقد أبلوا البلاء الحسن في الدفاع عن

أنفسهم بواسطة آلات الحرب، مثل المجانيق والعرادات التي كان يصنعها لهم رجل من أهل مجانة. واستعمل الكتاميون بدون جدوى الدبابات والأبرجة لقتالهم، فكانوا يحرقونها من أعلى سور مدينتهم بواسطة القذائف المحرقة. ولم يضعفوا إلا من شدة الجهد وغلبة الجوع عليهم فاستسلموا في آخر الأمر، بعدما نفذ كل ما لديهم من مؤونة. وفتح الكتاميون المدينة عنوة ونهبوها...⁴⁹.

منذ هذه الحادثة التي أحدثت قطيعة نهائية بين مدينة بلزمة والسلطة الأغلبية، سيكون لها أثرها كذلك في فشل المدينة في الوقوف أمام الزحف الفاطمي الذي حاصر المدينة من خلال قطع الصلة بين المدينة وأرباضها التي لم تجد من يدافع عنها، لأن جند المدينة قضي عليهم برقادة قبل هذا الحدث.

فقد أصبحت هذه المدن بين فكي كماشة، التشدد الأغلبي من الشرق سعيًا من أمراء القيروان الهيمنة على إقليم الزاب الحيوي، ومن الغرب سيكون التهديد الشيعي أكثر جدية في اقتحام هذه المدن خاصة وأن الأغلبية قد سهلوا لهم المهمة من حيث عملهم على إضعاف مدن الزاب والفتك بحامياتها ظنا منهم أنها تهدد السلطة القائمة.

حصار هذه المدينة اعتبر طريقة جديدة في طريقة الحرب التي سلكها الفاطميون في تخريبهم للمدن فبعد تشديد الحصار وإفساد الزروع هوجمت الأسوار بدواليب متحركة قذفت منها القلعة بقذائف مشتعلة حشيت فيها النار، فأمكن بذلك اقتحامها، وقتل كل من بقي من المقاتلين، باستثناء النساء والأطفال واحتجزت كل أمتعتهم وأموالهم.⁵⁰

تسقط بلزمة أمام عبد الله الشيعي الذي لم يفشل أمام المقاومة التي وجدها بهذا الحصن مما جعله يلجأ إلى حصارها، والإغارة عليهم في مواسم الصيف إذ عرفت بلزمة بزراعتها المزدهرة وكثرة مواشيتها. "وقاتل أهل بلزمة قتالا شديدا ودافعوا مدافعة عظيمة ونصب أبو عبد الله عليهم الدبابات والأبرجة فأحرقوها..."، ويضيف القاضي النعمان أن شدة الحصار الذي دام ثلاث سنوات بلغت أن السكان: "أكلوا كل ما عندهم من الحيوان ثم أكلوا جلودها، ثم لما نفذ ذلك كله عادوا إلى درقهم فكانوا يقطعونها ويبلونها ويطبخونها ويأكلونها إلى أن غلب عليهم الجوع فاستأسروا... وأمر أبو عبد الله بهدم سورها فهدم"⁵¹.

وإذا كانت نهاية المدينة التي سيطرت ردحا من الزمن على إقليم كتامة بهذه البشاعة، فإن عبد الله الشيعي أرادها أن تكون كذلك، ومثلما يرى محمد طالبي؛ فإنه ينبغي البحث عن السبب في الضغائن الهائلة المتراكمة منذ أجيال في قلوب كتامة على حصن سقايم طويلا كأس الإهانة حتى الثمالة⁵²، ويكون الجند الكتامي قد عبث بالمدينة وغنم كل ما وجدوه من الأثاث والأمتعة وغيرها مثلما أخبرنا القاضي النعمان، الذي وصف حالة الحصار وتدمير هذا الحصن المنيع.

لقد توالى الأزمات على الحدود الغربية للإمارة الأغلبية لكن بسقوط مدينة بلزمة وطبنة أصبح سنة (293هـ/906م) سنة نحس بالنسبة إلى الجيش الأغلبي. فقد فتح الكتاميون ثغرة في الحصون الغربية التي كانت تحمي إفريقية، ولم يبق منها سوى حصن باغاية الذي ما زال يسد الطريق الرئيسية الواقعة بين جبال قسنطينة وأوراس والمفضية إلى داخل البلاد عبر تبسة ومجانة وبعد استيلائهم على طبنة وبلزمة، لن يتأخروا على الهجوم على باغاية ثم الاستيلاء عليها⁵³.

انخرط جنود الحاميات الثغور الأغلبية في جيش المهدي، إذ كان عدد كبير من الجنود العرب يعملون في الجيش الفاطمي في مستهل عهد المهدي. ذلك أن بعض جنود الثغور كانوا ينتظرون سقوط آخر أمراء بني الأغلب للانضمام إلى الداعي والدخول في طاعة الإمام الذي كانت إفريقية تعلم أنه موجود في سجلماسة على استعداد لدخول رقادة وراء الداعي وأولياؤه الكتاميين. فلم يتردد حينئذ بنو أبي خنزير من جند ميلة

وبنو مالك من جند بلزمة، وبنو ملاس في الأربس، وحامية طبنة وقائدها أبو المقرى، حين فتح أبو عبد الله إفريقية، في خلع طاعة بني الأغلب وقد كانوا لا يعترفون بسلطتهم إلا اسمياً، وذلك منذ وفاة إبراهيم الثاني⁵⁴. بعد القرن 05هـ/ 11م ساهم الخوارج في ربط العديد من الحواضر الواحية والصحراوية بمجالات التل الأعلى، وبشبكة خطوط تجارة القوافل بعدما عجزت سلطة الخلافة الفاطمية السيطرة عليها. وقد عرفت منطقة غرب الأوراس انتعاشاً في ظل سلطة الحماديين استفادت منه مدينة بلزمة قبل وصول الزحف الهلالي على المنطقة، وعمت الاضطرابات، وانقطعت أخبار مدينة بلزمة بعد ذلك، نتيجة تغير آليات الصراع حول النفوذ والتحكم في المجال الذي أصبح تتحكم فيه قبائل البدو. وأدى ذلك إلى تتغير خطوط المسالك شمالاً نحو مدن الساحل.

خاتمة:

بعد القرن الأول الهجري/ 06م انخرطت بلاد المغرب في منظومة جديدة من شبكة العلاقات داخل الخلافة الإسلامية، وأصبحت تشكل الجزء الغربي منها، وكانت إفريقية غنية بال عمران والمدن القديمة المنشأ، ولم تتعرض هذه المدن للتخريب أو التهديم، بل أصبحت مع الوقت حواضر إسلامية استقرت فيها الحاميات العربية الإسلامية، ومن هذه الحواضر انطلقت عملية الأسلمة لتحديث أكبر انقلاب وتحول حضاري لدى قبائل البربر، مست خاصة جوانب اللغة والعقيدة وانخراط السكان في الحياة السياسية.

ووفق تعاليم الدين الجديد فإن التغيرات مست جوانب العمران والمدن القديمة وذلك بالتخلي عن بعض المرافق كالمعابد والمسارح التي أصبحت لا تلائم الدين الإسلامي، فيما تأسست مرافق جديدة كالمساجد ودور الإمارة، وكانت هذه التغيرات تجري وفق عملية تحول بطيئة زمانياً لكنها ستصبح عميقة الأثر، إذ سيتغير طابع العمران نهائياً. ومن خلال دراستنا لمدينة بلزمة في العصر الوسيط نسجل غياب الدراسات المتعلقة بمرافق المدينة، وشكل تخطيطها، وانعدام الحفريات بها، وهي التي تسمح لنا بمعرفة حجم المدينة ومساحتها، خاصة ونحن نعرف أن العوامل الطبيعية أدت إلى تناقص وتآكل آثار المدينة التي أهملت، وأصبحنا أمام وضع لمدينة مندرسة رغم ما لها من أهمية تاريخية في العصر الوسيط.

على مستوى آخر وبحكم أن المدينة قديمة، فإنها استمرت في تطورها بعد الفتح الإسلامي؛ ففي النصف الأول من القرن الثاني الهجري/ 08م ستعرف الكثير من التحولات الديموغرافية والسياسية والمذهبية؛ فقد كانت مستقر لقبيلة بني تميم اليمينية ومواليهم، والتي كان لها دور كبير في العمليات العسكرية للفتوحات الإسلامية، ونتيجة لقوة هذه القبيلة واحتفاظها بتقاليد العسكارية، فقد انخرطت في مرحلة حكم الولاة ببلاد المغرب في الصراعات القبيلة والمذهبية بالمنطقة مستغلة جغرافية غرب الأوراس، وستصبح حامية بلزمة في عداء مع الأمراء الأغالبة الذين كانوا يرون في قوتها تهديداً لسيادتهم على هذه المدينة. فكانت لهذه العلاقة المتوترة انعكاسات سلبية على مدينة بلزمة وكانت سبباً مباشراً في نكبتها وتهديم أسوارها في نهاية القرن الثالث الهجري/ 09م.

غير أن هذه الحاميات العربية التي استقرت في الحواضر والتي ستصبح أقليات حاكمة، كانت قليلة العدد مقارنة بقبائل البربر التي تشكل أغلبية السكان والتي لا نجد أخبارها في المتون التاريخية العربية (وهي ظاهرة عامة تخص كامل بلاد المغرب) خاصة فترة العصور الوسطى المبكرة، كما أن هذه القبائل لم تدون تاريخها الخاص بها. لذلك تبقى الكثير من الأسئلة المطروحة حول: التاريخ المحلي لمجال المدينة، ومعرفة بنية السكان والتطور الاجتماعي الذي حدث بعد استقرار المسلمين بهذه الحاضرة، وطبيعة العلاقات بينهم وبين السكان المحليين، وكيف حدثت المرحلة الانتقالية بين النظم والموروثات القديمة ومجتمع المدينة

الجديد وغيرها من التحولات الأخرى، وتبقى هذه الأسئلة بحاجة إلى المزيد من البحث في هذا المجال. خاصة إذا عرفنا دور وحجم هذه الحاضرة في القرون التالية لمرحلة الفتح الإسلامي.

وفي الأخير نقول إن دراسة تاريخ العمران (والمدن والحوضر تحديدا) ببلاد المغرب لا يقتصر على العواصم لما كانت تتمتع به من ثقل اقتصادي واجتماعي بحكم أنها كانت تمثل مركز السلطة، بل أن الاهتمام بدراسة تاريخ المدن الطرفية التي تمثل الهامش تسمح لنا بإعادة رسم جغرافية العمران لفترة هامة من تاريخ العصر الوسيط. لذلك فإن دراسة التحولات التاريخية التي عرفتتها مدينة بلزمة في العصر الوسيط لا يمكن أن نفصلها عن علاقة المدينة بالسلطة وبالتغيرات المذهبية والصراع الذي كان بين مختلف الفرق خاصة الخوارج والشيعة الإسماعيلية الذي انعكس سلبا عليها. وإذا كانت الدراسة تطرح بعض العوائق كنقص المصادر أو أحجامها عن التطرق لبعض المدن المنثرة فإن ذلك لا يعفينا من تنويع آليات ومناهج البحث.

قائمة المصادر والمراجع

- 1- ابن الأثير عز الدين (ت 630هـ/ 1232م)، اللباب في تهذيب الأنساب، ج 01، دار صادر بيروت، 1980.
- 2- ابن الرقيق، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم (ت 420هـ/ 1029م)، تاريخ إفريقية والمغرب، تح: عبد الله العلي الزيدان وعز الدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 01، 1990.
- 3- ابن الصغير المالكي (ق 03هـ)، أخبار الأئمة الرستميين. تح: بحاز إبراهيم ومحمد ناصر. دار الغرب الإسلامي، 1986.
- 4- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت 456هـ/ 1063م)، جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001.
- 5- ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت 378هـ/ 988م)، صورة الأرض، دار صادر، بيروت، ط 02، 1938.
- 6- ابن عذارى المراكشي (ت حوالي 695هـ/ 1295م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. تح: ج س كولان وإيفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط 02، ج 1، 2، 1980.
- 7- أبو عبيد بن قاسم بن سلام (ت 224هـ/ 838م)، كتاب النسب، تح مريم محمد خير الدر، دار الفكر، 1989.
- 8- الإدريسي، أبو عبيد الله محمد بن محمد بن عبد الله الحسني (ت 560هـ/ 1164م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ط 01، 1989.
- 9- البتي، أبو جعفر أحمد بن عبد الولي البيلانسي (ت 488هـ/ 1095م)، تذكرة الألباب في أصول الأنساب. تح محمد مهدي الموسمي الخراساني، مؤسسة المواهب بيروت، 2001.
- 10- البكري، أبو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت 487هـ/ 1094م)، المسالك والممالك، ط 1، تح: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.
- 11- الحازمي، أبو بكر محمد بن أبي عثمان الهمذاني (ت 584هـ/ 1188م)، عجالة المبتدئ وفضالة المنتهي في النسب، تح عبد الله كنون، دار الأفق العربية، القاهرة، 2002.
- 12- عبد الرحمن بن خلدون (ت 808هـ/ 1405م)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. دار الفكر، بيروت، ج 4، ج 6، ج 7، 2000.
- 13- القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد بن حيون التميمي (ت 363هـ/ 974م)، رسالة افتتاح الدعوة، تح: وداد القاضي، دار الثقافة، بيروت، ط 01، 1970.
- 14- محمد عبد المنعم الحميري (ت 900هـ/ 1495م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط 02، 1984.
- 15- المقدسي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت 380هـ/ 990م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تح: محمد أمين الضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 01، 2003.
- 16- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ/ 1333م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ج 24، 1983.

- 17- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح، البلدان (ت 284هـ/ 897م)، ط 01، تح: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.
- 18- بوبة مجاني، مدينة قسنطينة في الفترة الإسلامية.
- 19- الحسين إسكان، الدولة والمجتمع في العصر الموحد، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية.
- 20- دومنيك فاليريون، بجاية ميناء مغربي، ترجمة: عمارة علاوة، منشورات المجلس الأعلى للغة العربي، الجزائر، 2015.
- 21- شاكور مصطفى، المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، إحصاء للمدن الإسلامية ودراسة اجتماعية اقتصادية لها، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط2، ج1، 1997.
- 22- صالح بعيزيق، بجاية في العهد الحفصي، دراسة اقتصادية واجتماعية، منشورات جامعة تونس، 2006.
- 23- عبد المجيد بن حمدة، المدارس الكلامية بإفريقية، دار العرب، تونس، 1986.
- 24- عمرو خليفة النامي، دراسات عن الإباضية.
- 25- فالتر هنتس، المكابيل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المترى، ترجمة، كامل العسلي، ط 02، مكتبة الأسد، دمشق.
- 26- فرحات الدشرأوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب 296-365هـ/ 909-975م التاريخ السياسي والمؤسسات، ترجمة، حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994.
- 27- لطفي دبش، الإنسان والمكان في الثقافة العربية الإسلامية. قراءة في نصوص الجغرافيين والرحالين والمسالكين العرب إلى القرن الخامس الهجري، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة تونس 2011.
- 28- محمد الطالبي، الدولة الأغلبية التاريخ السياسي (184-296هـ/ 800-909م)، ترجمة: المنجي الصيادي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1985.
- 29- محمد العميم، إشكالية أصل المدينة بشمال إفريقيا، المدينة في تاريخ المغرب العربي، أشغال الندوة المنظمة من 24 إلى 26 نوفمبر 1988، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية 2 ابن مسيك، الدار البيضاء.
- 30- محمد حسن، القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط.
- 31- المنصف قوجة، تاريخ الإباضية الديني والسياسي. الدار التونسية للكتاب، 2014.
- 32- ناصر الدين سعيدوني، الإنسان الأوراسي وبيئته الخاصة، دراسة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدينة الأوراس قبل وأثناء العهد العثماني، مجلة الأصالة العدد 60-61، أوت سبتمبر 1978.
- 33- Brent D Shaw. Lamasba : an ancient irrigation community. Antiquités africaines, 18, 1982.
- 34- Charles Féraud. Conquête de bougie par les espagnols d'après un manuscrit arabe d'abouali ibrahim el-merini. R f 70 71. 1868.
- 35- Corisande Fenwick. From Africa to ifriqiya: settlement and society in early medieval North Africa (650–800) al-masaq, 2013. vol. 25, no. 1.
- 36- M. F. G. De Pachtere. Le règlement d'irrigation de Lamasba. Mélanges d'archéologie et d'histoire. T. 28, 1908.
- 37- Paul – louis cambuzat, l'évolution des cites du telle en efrikia du 7 em au 11 em siècle, office des publications universitaires, Alger, 1986.
- 38- Philippe Leveau, L'urbanisme des princes clients d'auguste, l'exemple de caesarea de maurétanie, Coll. E.F.R. N66. 1983.
- 39- Stephan Gsell. « Les monuments antiques de l'Algérie ». Tome premier. Paris 1901.
- 40- Atlas archéologique de l'Algérie tome1. Texte, 2 éditions, Algérie, 1997.
- 41- W. ragot. Le Sahara de la province de Constantine. Recueil des notices et mémoire de la société archéologique de la province de Constantine, dixième volume, 1866 challomel, aineéditeur, Paris.

¹ - مع تطور الكتابات التاريخية أصبحنا نجد لكل مدينة إسلامية كبرى مؤرخها الذي يصف لنا مكوناتها ومرافقها وتاريخ نشأتها...، وإحصائيا لفت شاكر مصطفى إلى أنه يمكن تسجيل ما يزيد على مائة وثلاثين مؤلفا للمدن كتبت فيما بين القرنين الثالث والسابع الهجري في مدن المشرق وحده، أي ما بين العراق وأقصى الصغد. فضلا عن بلاد المغرب والأندلس أو عن التواريخ المحلية للمناطق كالعراق وفارس وخراسان، أو تلك المؤلفات التي كتبت باللغة الفارسية في هذه الفترة. شاكر مصطفى. المدن في الإسلام حتى العصر العثماني. إحصاء للمدن الإسلامية ودراسة اجتماعية اقتصادية لها. دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط2، 1997، ج1، ص 39. كما أنه من التقاليد والقواسم المشتركة في تخطيط المدينة الإسلامية رواية أساطير في بناء المدينة، مثل هذه الروايات والأساطير التي كانت موجودة في التقاليد اليونانية والرومانية، فهذه الأساطير تدور حول تمجيد وتقديس المكان من جهة والقائد الرائد من جهة أخرى وما ينسب إليه من بركة إلهية وقوة غيبية خارقة. محمد حباتي. الأسباب والأساطير المرتبطة بتأسيس المدن الإسلامية بالمغرب. المدينة في تاريخ المغرب العربي. أشغال الندوة المنظمة من 24 إلى 26 نوفمبر 1988. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية 2 ابن مسيك. الدار البيضاء. ص 70.

² - المقدسي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط 01، تح محمد أمين الضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ص 35. ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي. صورة الأرض. ط 02 دار صادر، بيروت، 1938، ص 149.

³ - لطفي دببش، الإنسان والمكان في الثقافة العربية الإسلامية، قراءة في نصوص الجغرافيين والرحالين والمساكين العرب إلى القرن الخامس الهجري، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس 2011، ص 463-464.

⁴ - محمد العميم، إشكالية أصل المدينة بشمال إفريقيا، المدينة في تاريخ المغرب العربي، أشغال الندوة المنظمة من 24 إلى 26 نوفمبر 1988، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية 2 ابن مسيك، الدار البيضاء، ص 61-62.

⁵ - محمد العميم. إشكالية أصل المدينة بشمال إفريقيا، المدينة في تاريخ المغرب العربي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية 2 ابن مسيك، الدار البيضاء، نوفمبر 1988، ص 69.

⁶ - Philippe Leveau, l'urbanisme des princes clients d'auguste, l'exemple de caesarea de Maurétanie. Coll. E.F.R. N66. 1983. P 349.

⁷ - Corisande fenwick, from africa to ifri-qiya: settlement and society in early medieval north Africa (650-800) al-masa-q, 2013, vol 25, 1. P 15.

⁸ - حول هذه المدن ينظر:

Stephane Gsell. « Les monuments antiques de l'Algérie », Tome premier, Paris 1901, P 345 346 347. Atlas archéologique de l'Algérie tome1, Texte, 2^e édition. Algerie. 1997.

⁹ - تقع بالقرب من مدينة مروانة حاليا على مسافة حوالي 05 كلم، لكنها اندثرت وبقيت فيها آثار قديمة، والراجح أن مدينة بلزمة توجد على أنقاض تلك الآثار، التي لم تجري فيها أية حفريات تعود للفترة التي ندرسها، عكس الفترة السابقة (الرومانية) حيث توجد العديد من الدراسات خاصة بنظام الري فيها.

¹⁰ - حمد العميم، المرجع السابق، ص 62.

¹¹ - W. ragot. Le Sahara de la province de Constantine, Recueil des notices et mémoire de la société archéologique de la province de Constantine, dixième volume, 1866 challomel, aine éditeur, paris, p 236-237.

¹² - M. F. G. De Pachtere, Le règlement d'irrigation de Lamasba, Mélanges d'archéologie et d'histoire T. 28, 1908, p 373.

¹³ - Brent D Shaw. Lamasba : an ancient irrigation community, Antiquités africaines, 18, 1982, P 61.

¹⁴ - M. F. G. De Pachtere, op. cit, p 374.

¹⁵ - M. F. G. De Pachtere, ibid, p 378-379.

¹⁶ -Brent D Shaw, op. cit, p 68.

¹⁷ - حول قبيلة بني تميم ينظر أبو عبيد بن قاسم بن سلام، كتاب النسب، تح: مريم محمد خير الدرع، دار الفكر، 1989، ص 231؛ ابن الأثير عز الدين. اللباب في تهذيب الأنساب، ج 01، دار صادر بيروت، 1980، ص 222-224؛ البتي. أبو جعفر أحمد بن عبد الولي البلنسي، تذكرة الألباب في أصول الأنساب، تح: محمد مهدي الموسمي الخراساني، مؤسسة المواهب بيروت، 2001، ص 81. الحازمي، أبو بكر محمد بن أبي عثمان الهمداني، عجلة المبتدئ وفضالة المنتهي في النسب، تح عبد الله كنون، دار الأفاق العربية، القاهرة، 2002، ص 60.

¹⁸ - اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح، البلدان، ط 01، تح: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ص 190.

¹⁹ - حول نسب مزاة ينظر ابن حزم. جمهرة أنساب العرب، ص 498. عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر، بيروت، 2000، ج 06، ص 153-152.

²⁰ - البكري، المسالك والممالك، ط 1، تح جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ج 2، ص 227.

²¹ - حول المسافات والأطوال، ينظر: فالتر هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المترى، ترجمة: كامل العسلي، ط 02، مكتبة الأسد، دمشق.

²² - الإدريسي، نفسه، ج 1، ص 260-270.

²³ - محمد الطالبي، المرجع السابق، ص 144.

²⁴ - الإدريسي، المصدر السابق، ج 1، ص 270.

²⁵ - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 151.

²⁶ - عبد المجيد بن حمدة، المدارس الكلامية بإفريقية، دار العرب، تونس، ص 82.

²⁷ - ابن الصغير المالكي، أخبار الأئمة الرستميين، تح: بحاز إبراهيم ومحمد ناصر، دار الغرب الإسلامي، 1986، ص 111.

²⁸ - المنصف قوجة، تاريخ الإباضية الديني والسياسي، الدار التونسية للكتاب، 2014، ص 57.

²⁹ - البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 329.

³⁰ - محمد عبد المنعم الحميري. الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط 2، 1984، ص 76-77.

³¹ - الرقيق 119 ابن عذاري، ج 1، ص 59.

³² - القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد بن حيون التميمي (ت363هـ/974م)، رسالة افتتاح الدعوة، تح: وداد القاضي، ط 1، دار الثقافة، بيروت، 1970، ص 64-65.

³³ - النويري، المصدر السابق، ج 24، ص 131.

³⁴ - بن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص 114-115؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 257.

³⁵ - النويري، المصدر السابق، ج 24، ص 126.

³⁶ - القفيز: أفضة جمع قفيز، وحدة وزن كانت في عهد الحجاج تساوي صاع النبي ﷺ، أي ما قيمته: 4,2125 لتر وكانت تساوي بالقيروان القفيز الواحد 32 ثمنا كل ثمن 6 أمداد من أمداد النبي ﷺ 201، 877 لتر. فالتر هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المترى، ص 66-68.

³⁷ - الإردب هو مكيال مصري للحنطة يتألف من 06 وبيات، كل وبة 08 أقداح أو 16 قدحا صغيرا، وبصعب تحديد الإردب بدقة، وقد أشار إلى هذا المكيال كل من المقدسي، وبعده في القرن 08هـ/ 14م ابن فضل الله العمري، ثم القلقشندي في القرن 09هـ/ 15م، فالتر هانتسن المرجع نفسه، ص 58-59.

³⁸ - النويري، المصدر السابق، ج 24، ص 130.

³⁹ - ابن عذاري المراكشي، المصدر نفسه، ج 1، ص 119.

⁴⁰ - القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 88.

⁴¹- رثی الشاعر محمد بن رمضان من نفطة أهل بلزمة عن هذه النكبة في قصيدة نقلها القاضي النعمان في رسالة افتتاح الدعوة، ص 89. يهجو فيها الأغالية ويتوعدهم بقرب قدوم المهدي للانتقام لهم. و فيما يلي بعض ما قاله حول هذه المجزرة:

جل المصاب لئن كان الذي ذكروا مما أتننا به الأنباء والخبر
عن ألف أروع كالأساد قد قتلوا لساعة من سواد الليل إذ غدروا
قل لابن أحمد إبراهيم مألكة عن الخبر بما يأتي وما يذر
جرعت ضيفك كاسا أنت شاربها عما قليل وأمر الله ينتظر
فدولة القائم المهدي قد أزفت أيامها والذي أنبا به الأثر.

ينظر: محمد الطالبي، المرجع السابق، ص 328، هامش 2.

⁴²- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص 123. النويري، المصدر السابق، ج 24، ص 131.

⁴³- محمد الطالبي، المرجع نفسه، ص 723.

⁴⁴- ابن عذارى المراكشي، السابق، ج 1، ص 123.

⁴⁵- ابن عذارى المراكشي، السابق، ج 1، ص 123.

⁴⁶- فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب 296-365هـ/909-975م التاريخ السياسي والمؤسسات، ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994، ص 35-36.

⁴⁷- فرحات الدشراوي، المرجع نفسه، ص 36.

⁴⁸- القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 164.

⁴⁹- دومنيك فاليريون، بجاية ميناء مغاربي، ترجمة: عمارة علاوة، منشورات المجلس الأعلى للغة العربي، الجزائر، 2014، ص 180-181.

⁵⁰- فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص 135.

⁵¹- محمد الطالبي، المرجع السابق، ص 722-723.

⁵²- القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 165.

⁵³- فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص 135-136.

⁵⁴- فرحات الدشراوي، المرجع نفسه، ص 547.